

- ٦٢ -

مرتبة الوجود من رؤيتها شيئاً ماثلاً أمام النظر ؛ ولسكن وجودها صورة يحتاج إلى جهد ذهني أكثر من الجهد في النظر إليها . ووجودها صورة يتعلق بوعي وحده ، وأنا فيه أكثر إيجابية ؛ ثم إن وجودها صورة يستتبع آتى لا أراها ، فهي غائبة عني ، أو في حكم المعلوم بالنسبة لي ؛ وهي في الصورة ملك لوعي أتخكم فيها ، فأستطيع أن أنميا أو أطورها أو أغير وضعها دون أن يمس ذلك وجودها الخارجي في شيء ، وأستطيع كذلك أن أنظمها في سلك صور أخرى من جنسها أو غير جنسها لعلاقة من العلاقات إرادياً لغاية خاصة .

وفي هذه العملية الذهنية تصبح الصورة ملكاً لعالم الفكر ، بعد أن كانت شيئاً من الأشياء . وعلى حسب النظرة إلى الصورة في علاقتها بالشيء من جهة ، وبالفكر من جهة أخرى ، تنوعت النظرة إليها في الفلسفات والمذاهب الكبرى الأدبية ، مما كان ذا أثر كبير في نهضة الشعر أو ركود ربحه في هذه المذاهب . وذلك للارتباط الوثيق في تلك الآداب بين الأدب والتيارات الفكرية السائدة في العصر من جهة ، ثم حاجات الجمهور الموجه إليه ذلك الأدب من جهة أخرى . وهذه حقيقة لا نمل من تكرارها ، وهي ذات أثر خصب في نهضة الأدب ومشاركته في الإنجازات الإنسانية للعصر الذي ينتجه . ولهذا لم تكن هذه المذاهب الأدبية مما تفرض فرضاً على عصورها ، بل كانت استجابة للحاجات الفكرية والاجتماعية معا : ونحن نفيد من هذه الدراسة — إلى جانب الكشف عن مصادر تيارات النقد العالمي على منهج علمي — أننا نضع نصب أعيننا أثر ما يكون من إحكام الصلة بين أدبنا في طبيعته الفنية وبين حاجاتنا الفكرية والاجتماعية التي يعد الأدب استجابة وتوجيها لها في وقت معاً .

ولم يكن للخيال وفلسفته أثر كبير في الأدب قبل الرومانتيكيين ، على الرغم من دراسة أرسطو للغة ووظيفتها ، والذاكرة وعملها ، ووجوه البلاغة وقيمتها العامة ، وعلى الرغم من عناية العرب بدراسة وجوه البلاغة ، وبتحليلهم قيم عمود الشعر ، ومقاييس براعة الشعراء على حسب ، متأثرين في بعض ذلك بأرسطو على حسب تأويلهم إياه مما يترأى في حديثهم في